

خطب وعظيه ٢) إعداد فضيلة الشيخ د. فهد بن عبدالله آل طالب

(قصة آدم عليه السلام .. من أين أتى ؟ وإلى من يلجأ ؟)

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا، أما بعد: فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرَ الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشرُّ الأمور محدثاتها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة.

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن خيرَ بما تعملون، ألا مُتَيْقِظٌ لما بين يديه؟! ألا عامرٌ للقبرِ قبلَ المصيرِ إليه؟! ألا مُتَأَهِّبٌ للقاءِ الله قبلَ القُدمِ عليه؟! (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار * من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب).

عباد الله/ في قَصَصِ الأنبياءِ معالمٌ يهتدي بها السالكون، وَيَسْتَبْصِرُ بها السائرون، وإذا كان الآباءُ محلَّ القدوةِ لأبنائهم، فإن آدمَ عليه السلامُ والدُ الجميع، جعله الله ربُّ العالمين أسوَّةً لبنيه من بعده، نسي آدمُ فَنَسِيَتْ ذريته، أخطأ آدمُ ووسوسَ له الشيطانُ وأزَلَّهُ، وأخرجهُ من الجنة .. (يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة).

عباد الله/ آدمُ عليه السلامُ أبونا أجمعين، خلقه الله بيده، وعَلَّمَهُ أسماءَ كلِّ شيءٍ، وأسجدَ له ملائكتُهُ، وأسكنَهُ الجنة، كرر الله قصته في سورٍ من القرآن، وفي قصَّته عليه السلامِ مواضعٌ للعبرةِ يأخذها بنوه، والدرسُ العظيمُ المستفادُ من وقوعِ آدمَ عليه السلامُ في الذنب، أنه عَرَفَ من أين وَقَعَ له هذا الذنب، ثم عَرَفَ إلى من يلجأ، وهذا الأمران مما يخفى شأنهما على كثير من الناس.

فأما الأمر الأول، فإن كثيرا من الناس يقع في الذنب، ويعود مرة ثانية ويقع فيه، ثم يقع فيه مرة ثالثة، لا يستفيد من خطئه الأول، ومن الطباع الموضوعة في الخلق أجمعين، أن كل من عثر بشيء فإنه يلتفت إلى ما عثر به فينظر إليه، سواءً أكان ماشياً على قدميه أو سيارته، والتفاته هذه ليحذر إن مر من هذا المكان مرة أخرى، أو لينظر كيف فاته التحرز من مثل هذا وهو اليقظ البصير، وهكذا من وقع في الذنب وعثر به، مأموراً أن يُبصر ما الذي أوقعه في هذا الذنب، وما الطريق التي أدته إليه، ومأموراً أن يعرف كيد عدوه ومصايد الشيطان، وكيف يحذر منه، ومأموراً أن يعود على نفسه باللوم كيف وقع في الذنب وهو يتحرز من الذنوب، فإن كان وقوعه في الذنب بسبب الصحبة التي تعينه على الذنب، بدّلهم صحبةً صالحةً تعينه على الخير وتدله عليه، وإن كان بسبب مالٍ أو مكانٍ أو سفرٍ أو غير ذلك قطع الأسباب الموصلة إليه، وقد قال صلى الله عليه وسلم كما ثبت في الصحيحين: "لا يلدغ المؤمن من جحرٍ واحدٍ مرتين".

هذا آدم عليه السلام عرف أن ذنبه بسبب عدوه الشيطان، الذي حذره الله منه، (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين)، فلم يعد بعد ذلك عليه السلام إلى طاعة الشيطان، ولم يدكر في حديث الشفاعة واعتذاره عنها إلا هذا الذنب، يقول آدم عليه السلام: "إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح" .. (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) .. (يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) .. احذروا الشيطان عدوكم، ولا تتخذوه وليا، (ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا ميينا)

بارك الله لنا في القرآن العظيم، وهدانا صراطه المستقيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(الخطبة الثانية)

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، خليله ومصطفاه، أما بعد:

عباد الله/ وأما المعنى الثاني العظيم المستفاد من وقوع آدم عليه السلام في الذنب، فإنه عليه السلام عَرَفَ إلى من يَلجأ، فإنه لجأ إلى الله وناداه، وتوسل إليه ورجاه، (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه)، (قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)، (ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى) .. (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله من رجلٍ يقَعُ في الذنبِ فتعلقُ دونه الأبواب، ولا يرى طريقَ التوبة، ويتعاضمُ الذنبُ الذي أتاه، ويظنُّ أن الله لا يغفرُ له !!

أما عَلِمَ هذا أن الذنوبَ كُتبت على بَنِي آدَمَ كُلِّهِمْ فمُسْتَقِيلٌ ومُسْتَكْتَبِرٌ؟! أما عَلِمَ أن رحمة الله قد وسعت كلَّ شيء؟! أما سَمِعَ قولَ الله تبارك وتعالى: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم)؟! أما سمع ربه يناديه في الحديث القدسي: "يا ابنَ آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابنَ آدم، لو بَلَغَتْ ذنوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابنَ آدم، إنك لو أتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا ثم لقيتني لا تشركُ بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة"؟!

إنَّ رَبَّكُمْ ييسطُ يده بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهار، وييسطُ يده بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليل، فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون .. قولوا كما قالَ أبوكم آدمُ عليه السلام: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم اغفر لنا وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.